السلاحف

الالفة تنفي الاستغراب ولولا ذلك ما رأينا بين انواع الحيوان ما هو اغرب خلقةً واعجب تركيباً من السلحفاة . بهيمة بين ترسين منيعين

تكبُّ عَلَى ظهرها ترسها وتظهر من جلها فاسها
اذا الحذرُ افلق احشاءها وضيَّق بالخوف انفاسها
تُضمُّ إِلَى نحرها كفها وتدخل في جوفها راسها

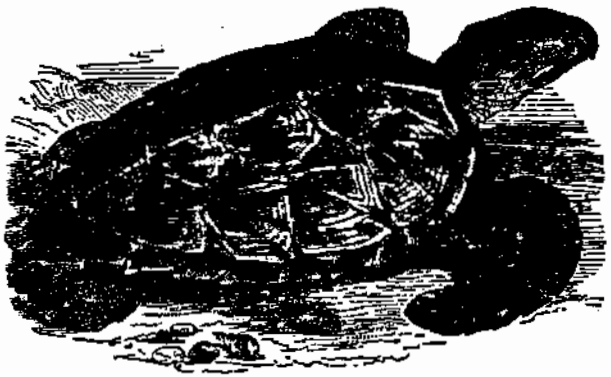

والسلاحف والتماسيح من الزحافات وتشترك في ان لها هيكلاً عظمياً موقّى بترس من العظم او القرن او الجلد الصفيق ولقلبها أُذَينتان تامتان و بطينان غير تامين ولذلك يكون دمها ابرد من دم الحيوانات اللبونة والطيور . والسلاحف جنسان برّيّة وبحريّة وتسمى الثانية لجاة ويحرّفها اهالي سواحل الشام فيقولون لجاية

وليس للسلاحف اسنان ولكن فمها قرني كمنقار الطائر والسلاحف البريّة تستطيع المشي عَلَى قوائمها وهي ذات اصابع كقوائم الضب والتمساح . واما السلاحف البحريّة فلا اصابع ظاهرة لقوائمها بل هي مجموعة مفلطحة كالمجاذيف كما ترى في هٰذَا الشكل لكي تستعين بها عَلَى السباحة فتقيم في البحر ولكنها تستطيع ان تزحف عَلَى البر ايضاً

والسلاحف مختلفة الطباع كثيراً بعضها يأكل اللحم و بعضها يكتفي بأكل الاعشاب والبقول. بعضها يسكن البحر و بعضها يسكن البر و بعضها يسكن الانهر والبرك والبحيرات وكلها

تحب الماء وتسبح فيهِ ولو كانت برّيّة وتبيض في البر في الخوص تحفرهُ في الرمل او التراب ثم تغطي بيضها وتتركهُ. واكثرها يقطن الاقاليم الحارّة. والبريّة منها كثيرة الانواع جدًّا عُرف منها اكثر من اربعين نوعًا. وقوائمها صالحة للمشي كما تقدَّم وذلك اظهر فارق بينها وبين السلاحف البحريّة. وفي اصابعها مخالب تستطيع بها التصعيد والاعتراش وكلها من آكلات النبات وقد تأكل الحشرات والحلازين. وما كان منها في بعض جزائر لاوقيانوس الهيط يكبر جسمهُ حتى يزن قناطير كثيرة. وكلها تعمر السنين الطوال وقد تعمر قرونًا كثيرة. قيل ان في يورت لويس بجزيرة موريتوس سلحفاة عمرها مئتا سنة

وقد شاهد الشهير دارون سلاحف كثيرة من هذا النوع في جزائر غلاباغ على خط الاستواء غربي اميركا الجنوبيّة وقال انها تختار المرتفعات التي فيها شيء من الماء ولكنها تقيم في المنخفضات ايضًا ولو كانت قاحلة لاماء فيها. ويعظم بعضها حتى يقتضي رفعهُ عن الارض من ستة رجال الى ثمانية. ويستخرج من بعضها قنطاران من اللحم. والذكور اكبر من الاناث وهي تمتاز عن الاناث بطول ذنبها. وكلها تحبُّ الماء وتشرب منهُ كثيرًا ولا توجد الينابيع هناك الاَّ في الجزائر الكبيرة وفي منتصفها فاذا عطشت السلاحف التي على الساحل اضطرَّت ان تدبَّ مسافةً طويلة إلى وسط الجزيرة ولذلك تراها قد مهَّدت طرقًا كثيرة من الساحل الى موارد الماء وهذه الطرق هي التي هدت الاسبانيين الى الماء. ولما شاهدت هذه الطرق عجبت منها اولاً ولم اعلم ما هي ثم سرت فيها فاذا انا بسلاحف كبيرة بعضها وارد وبعضها صادر وهي تسير الهوينا مادَّة اعناقها حتى اذا بلغت الماء غمست رأسها فيهِ حالاً وعبَّت منهُ مرارًا. ويقول السكان انها تقيم ثلاثة ايام او اربعة بجانب الماء ثم تعود الى الساحل. وهي تحتمل العطش زمانًا طويلاً فتعيش في الجزائر التي لا ينابيع فيها ولا تمطرها السماء الاَّ اياماً قليلة في السنة والظاهر انها تحفظ الماء في جوفها وثناياها. ويقال ان سكان تلك البلاد يعلمون ذلك فاذا اعوزهم الماء قتلوها وشربوهُ من تامورها فاذا لم يروهم شربوهُ من مثانتها

قال ودسير السلاحف هناك نهارًا وليلاً فتقطع ثمانية اميال في يومين او ثلاثة وقد راقبت سلحفاة كبيرة فوجدتها قطعت ستين يردًا في عشر دقائق وذلك يعادل اربعة اميال في اليوم

ويعتقد سكان تلك الجزائر ان السلاحف صماء لا تسمع ويظهر انهم مصيبون لانها لا تشعر بصوت من يمشي وراءها فكنت امشي وراءها فتظلُّ ماشية فاذا جزتها وصرت امامها رأتني فاخفت رأسها وقوائمها حالاً ووقعت كانها ميتة. وكثيرًا ما كنت اركب على

ظهرها واسوقها فتسير بي الخوزلى حتى يتعذَّر عليَّ البقاء عَلَى ظهرها . ويؤكل لحمها طريًّا ومملَّحًا ويستخرج من دهنها زيت كثير صافٍ

وتبيض تلك السلاحف في اكتوبر فتضع الانثى بيضها في الرمل وتطمرهُ بهِ واذا كانت الارض صخريَّة لا رمل فيها القت بيضها حيث اتَّفق وقد وجدناهُ في شقوق الصخور وهو ابيض كروي الشكل قدر محيط بيضة منهُ فوجدتهُ سبع عقد وثلاثة اثمان العقدة فهو اكبر من بيض الدجاج . وحينما تولد صغارها تفترس الكواسر كثيرًا منها . والظاهر ان الكبار لا تموت موتًا طبيعيًا بل اختراقيًا بعارض من العوارض كأن تقع عن شاهق . انتهى كلام دارون بتصرُّف قليل

وقال آخر كان عندي سلحفاة صغيرة فلما اخذها المخاض وارادت ان تبيض حفرت حفرة صغيرة عمقها نصف قدم وقطرها ثلث قدم وباضت فيها اربع بيضات ثم طمرتها بالتراب الذي اخرجهُ من الحفرة ولبَّدتهُ بيديها ورجليها وكانت تنتصب عَلَى رجليها ثم تطرح قفسها عليهِ بغتةً حتى يزيد تلبُّدهُ فصار ظاهرهُ مثل سائر الارض ألَّتي حولهُ ولو لم ارَها تحفر الخوصها وتطمرهُ ما قدرت ان اميزهُ . ولم تتركهُ حالاً بعد ان طمرتهُ بل بقيت عندهُ مدة خائرة القوى من جهد ما عانتهُ في حفرهِ وطمرهِ . انتهى . ولعلَّ وقوفها معياةً بعد ان تطمر بيضها هو علة ما زعمهُ الدميري وغيرهُ من كتَّاب العرب وهو انها "اذا باضت صرفت همتها إلَى بيضها بالنظر اليهِ ولا تزال كذلك حتى يخلق الله الولد منهُ اذ ليس لها ان تحضنهُ حتى يكمل بحرارتها"

والسلاحف شرسة الطباع غاليًا يزاحم بعضها بعضًا اذا كانت سائرة في طريق ضيق والتقى غيلمان[1] منها اختصما شديدًا حتى يقع احدهما معيًّا من التعب او حتى يدخل احدها جسمهُ تحت جسم الآخر ويقلبهُ عَلَى ظهرهِ فيبقى مستلقيًا إلَى ان يموت اذا كانت الارض مستويةً والاَّ استطاع ان ينهض بعد عناء شديد

والسلحفاة البحريَّة او اللجاة تقيم في البحر ويمكنها ان تزحف عَلَى البر ايضًا . والذكر منها يقيم في البحر دائمًا فلا يدخل البر واما الانثى فتدخلهُ لتبيض في الرمل فتحفر حفرةً كبيرة تبيض فيها وتطمر البيض ثم تعود الى البحر . وتخرج الصغار من البيض بعد حين وتمضي كلها الى البحر الاَّ ما يقع منها فريسة للجوارح ونحوها خلافًا لما قالهُ الاقدمون من ان بعضها يمضي الى البحر فيصير بحريًّا وبعضها الى البر فيصير بريًّا . واذا وصلت البحر لم تسلم كلها بل اكلت الاسماك كثيرًا منها

(١) الغيلم ذكر السلاحف

وقال اوديبون وهو من اشهر العلماء بطبائع الحيوان "ان السلحفاة البحرية تفحص الرمل برجليها بمهارة عظيمة حتى لا ينهار من جوانب الحفرة وكأنها تغرف الرمل بهما غرفاً كما يغرف الطعام ثم تقف على يديها ورأسها وتدفعهُ بقدميها فتبذّرهُ تبذيراً وبذلك تتمكن من حفر حفرة عمقها نحو قدمين في تسع دقائق ثم تسرأ بيضها فيها بيضة بيضة وتنظمها طبقات بعضها فوق بعض فيبلغ عددها من مئة الى مئتين ويتم ذلك كلهُ في عشرين دقيقة ثم تعيد الرمل الى الحفرة وتطمر البيض بهِ وتدلكهُ حتى لا يمتاز عن الارض التي حولهُ وتعود الى البحر باسرع ما يمكن تاركة بيضها لحرارة الشمس" . وهي تفعل ذلك في الليالي القمراء وتخرج الى البر بالحذر التام وتصفر صفيراً شديداً تهرب منهُ اعداؤها . وتبيض ثلاث مرات في السنة بين كل مرة واخرى من اسبوع الى اسبوعين وبيضها يستطاب عند كثيرين ويخرج منهُ زيت صاف

والسلحفاة البحرية التي يباهي الاوربيون بطبخ الشوربا منها هي السلحفاة الخضراء وهي كبيرة الجسم يبلغ وزنها احياناً ثمانية قناطير مصرية . والسلحفاة التي صورتها في صدر هذه المقالة هي التي يسمّى ترسها الدَّبْل وتصنع منهُ الامشاط والاساور ومنهُ قول جرير

ترى العبس الحولي جوناً بكرعها لها مَسَكاً من غير عاج ولا ذَبْل

ويستعملهُ النجارون في تطعيم الخشب ويسمونهُ باغا . وكثيراً ما يستخرج من السلاحف الحية على اسلوب تنفر منهُ الطباع وذلك انهم يضعون السلحفاة على النار حتى يسخن ترسها وتتقشر القشور منهُ فينزعونها ثم يعيدون السلحفاة الى الماء . وتكون هذه القشور حينئذٍ محدَّبة فتغمس في الماء السخن حتى تلين وتوضع بين قطعتين صقيلتين من الخشب او المعدن وتضغط ضغطاً شديداً فتستوي ثم تبرَّد وتصقل . واذا اريد ان تُصنَع منها قطع كبيرة تُحفر حافاتها وتوضع حافة القطعة الواحدة على حافة قطعة أخرى وتضغطان ضغطاً شديداً وتوضعان في الماء الغالي فتلتحمان وتصيران قطعة واحدة

وكان الاقدمون يباهون بذبل السلاحف ولم تزل تجارتهُ رائجة واكثرهُ يجلب الآن من كنتون وسنغافورة . هذا اما ما ذكرهُ كتّاب العرب من طباع السلاحف البرية والبحرية وخواصها فسقيم جدًّا لا يعوَّل على شيء منهُ كقولهم ان البرد اذا كثر وقوعهُ على الارض واضرَّ بمكان تؤخذ سلحفاة وتقلب فيدٍ على ظهرها بحيث تبقى قوائمها شائلة نحو السماء فان البرد لا يضرُّ ذلك المكان وكقولهم ان خاصية التسريح بمشط الذبل اذهاب الصئبان من الشعر . وان دمها ينفع من وجع المفاصل اذا لطخت الايدي والاقدام بهِ وقس على ذلك